الوعي الأخلاقي وأثره في حفظ أمن الفرد والمجتمع في ضوء قوله تعالى:

" ﴿يأيها ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لا يَسخَر قَوم مِّن قَومٍ عَسَىٰٓ أَن يكُونُوا خَيرا مِّنهُم ﴾

دراسة تفسيرية موضوعية

إعداد الدكتورة

رضا محمد مخلوف

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات القاهرة

الوعي الأخلاقي وأثره في حفظ أمن الفرد والمجتمع في ضوء قوله تعالى " (يأيُها ٱلذِينَ ءَامَنُوا لا يسخرْ قوْم مّن قوْمٍ عسَىٰ أن يكُونوا خيرا مّنهُمْ) دراسة تفسيرية موضوعية.

رضا محمد مخلوف حسن

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية . للبنات بالقاهرة

البريد الإلكتروني: Redahassan.7722@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

القرآن الكريم كتاب حياة ومنهج نجاة، فهو ينظم حياة البشرية من جميع الجوانب، بما في ذلك الأخلاق؛ لما للأخلاق من دور كبير في صلاح الفرد والمجتمع، **ويهدف البحث** إلى تسليط الضوء على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا ..... ﴾ [الحجرات:١١]، والتي حذر المولى سبحانه وتعالى فيها من السخرية بشتى أساليبها، وكيفية معالجة القرآن الكريم لهذا الخلق الذميم.

وسلكت في هذ البحث المنهج الاستقرائي والموضوعي في التفسير، من خلال تتبع الآيات القرآنية المتصلة بالموضوع ودراستها دراسة موضوعية.

وكان من نتائج البحث: أن وجود الأخلاق قديم بقدم التاريخ البشري، حيث وجدت بقايا من مكارم الأخلاق في الجاهلية، ولكن هذه الأخلاق أحياناً كانت بدافع العصبية القبلية؛ إذ كان التحلي بهذه الأخلاق من باب التعصب والانتماء للقبيلة.

أقر الإسلام العديد من المكارم الأخلاقية التي كانت ميراثا من الحياة الجاهلية، ولكن عمل على تهذيبها وتعديلها، وجعلها في إطار الإيمان والعقيدة، بدلا من التعصب القبلي.

إن أسلوب السخرية من الأساليب القديمة التي عانى منها الأنبياء والتي استخدمها المشركون لصد دعوة النبي ﷺ.

إن القرآن الكريم شدد النكير على الساخرين واستخدم عدة أساليب لمعالجة هذا الخلق الذميم.

الكلمات المفتاحية: مكانة الأخلاق في الإسلام – منهج القرآن في ترسيخ الأخلاق في نفوس المؤمنين – صفات الساخرين – مظاهرالسخرية – أثر السخرية على الفرد والمجتمع.

Moral Awareness and its Impact on Preserving the Security of the Individual and Society in light of the Almighty's saying "O you who have believed, let no people ridicule another people"

An Objective Exegetical Study

Reda Muhammad Makhlouf Hassan.

Department of Qur'an Exegesis and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

E.mail: Redahassan.7722@azhar.edu.eg

Abstract:

The Holy Quran is a book of life and a method of salvation. It regulates all aspects of human life, including ethics, because ethics has a major role in the well-being of the individual and society. The research aims to shed light on the Almighty's saying, "O you who have believed, let no people ridicule another people" (Qur'an, 49:11) in which Allah Almighty warns against ridicule. The research clarifies the Quran's method of dealing with this reprehensible quality. In this research, which makes use of the inductive and objective approaches, the Quranic verses related to the topic have been tracked, and their interpretation studied objectively. The results of the research include the following: the existence of morals is as old as human history, and some good morals were present in pre-Islamic times, but these morals were sometimes motivated by tribal fanaticism. Islam

recognizes many moral virtues that were present in pre-Islamic life, but it refines, modifies, and places them within the framework of faith and creed instead of tribal fanaticism. Ridicule is a method suffered by all Prophets, and the polytheists used it to repel the call of the Prophet (pbuh). Indeed, the Noble Qur'an strongly condemns those who mock others and employs various methods to address their reprehensible behavior.

Keywords: status of morality in Islam – the Quranic approach to establishing morals in the souls of believers – qualities of mockers – manifestations of ridicule – impact of sarcasm on the individual and society .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وصفه ربه عز وجل بعظيم الأخلاق، فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وعلل ﷺ بعثته بقوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [١] وقال عليه الصلاة والسلام وهو يبين منزلة صاحب الأخلاق، («أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[٢]، ولما كان للأخلاق من مكانة عظيمة في الإسلام، نجد أن القرآن الكريم اهتم بها اهتمامًا كبيرأ، حيث أمر بالتحلي بأحسنها وأقومها من جهة، ونهى عن سيئها ورذيلها من جهة أخرى، بالإضافة إلى بيان جزاء الفريقين .ومن بين الأخلاق الزذيلة التي نهى القرآن الكريم نهيًا مشدا أسلوب السخرية، لما لهذا الأسلوب من آثار ضارة جسيمة على الفرد والمجتمع فالله عز وجل نهى المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض بالقول أو بالفعل أو بالإشارة، وبين أن هذا الأسلوب قد يدخل الإنسان إلى دائرة الفسق، بعد أن تحلى بصفات الإيمان؛ لهذا كان الحديث في هذا البحث عن السخرية نتعرف فيه عن معناها وأساليبها وكيفية توعية القرآن للمؤمنين بهذا الأسلوب وأثر هذا الأسلوب على الفرد والمجتمع إلى غير ذلك.

أهمية الموضوع:

- تعلق الموضوع بالجانب الأخلاقي وهو أمر في غاية الأهمية لما للأخلاق من مكانة عظيمة في الإسلام حيث تُبنى عليها جميع أحكام الشريعة .ولهذا جعل الله عز وجل الهدف من إرسال الرسل تحقيق مكارم الأخلاق.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، باب مكارم الأخلاق، ٣٢٣/١٠، ح٢٠٧٨٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في حق الرآة على زوجها، ٤٥٨/٣،ح١١٦٢، وقال حديث حسن صحيح. والنسائي في السنن الكبري باب: لطف الرجل أهله، ٢٥٦/٨، ح ٩١٠٩.

- أسلوب السخرية من الأساليب الخطيره الهدَّامة للفرد والمجتمع والذي له الأثر السيئ بعيد المدى فكان لا بد من تسليط الضوء عليه وبيان أساليبه وعاقبته كما وضحها القرآن الكريم حتى يحذره المؤمنون .
- انتشار أساليب السخرية في المجتمع وممارسته بشتى صوره دون أن يفطتن الساخر إلى أن هذا من عادات الجاهلية العمياء، كان أدعى إلى إيقاظ البشرية وتذكيرها بالآثار الضارة لممارسة هذا الأسلوب، وإحياء القيم الأخلاقية فيها.
- إن أعداء الإسلام ما زالوا إلى الآن يسخرون من القرآن ومن النبي ﷺ؛ فكان لا بد من تذكير المؤمنين بصفات هؤلاء الساخرين وأساليبهم في السخرية كما وضحها القرآن الكريم حتى تتهيأ النفس للرد عليهم .

منهجي في البحث:

سلكت في هذ البحث المنهج الاستقرائي والموضوعي في التفسير، من خلال تتبع الآيات القرآنية المتصلة بالموضوع وفقًا للطريقة الآتية:

- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.
- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في سورها، بعد ذكر كل آية مباشرة .
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة .
- ادراج كل مجموعة من الآيات المشتركة في الحديث عن السخرية تحت عنوان واحد.
- التعرض لأسباب النزول إذا دعت الحاجة.
- توثيق النقول بنسبتها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى التصرف فيها، إن تم التصرف في النص المنقول.
- الاكتفاء بذكر بيانات المرجع الخاصة بجهة طبعه أونشره وتاريخ الطبعة في فهرس المصادر والمراجع خشية الإطالة.

خطة البحث:

ضمن هذا البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وثبتا للمصادر والمراجع ثم فهرسًا للموضوعات تحدثت في المقدمة عن أهمية الأخلاق وأثرها على الفرد والمجتمع، ثم تحدثت عن منهجي وما اشتمل عليه البحث من دراسة.

وفي التمهيد قدمت لسورة الحجرات من حيث وجه التسمية، علاقتها بما قبلها، عدد آياتها، وزمن نزولها، وأخيرًا أهم الموضوعات التي اشتملت عليها، ثم تطرقت بالحديث عن معنى الوعي والأخلاق، والسخرية، والفرق بينها وبين الاستهزاء .

المبحث الأول: الأخلاق ومكانتها في ظل انتشار الفوضى واختلال القيم والمبادئ.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكانة الأخلاق في الإسلام.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في ترسيخ القيم الأخلاقية في نفوس المؤمنين.

المطلب الثالث: النهى عن بعض الأخلاق الذميمة في ضوء قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ....﴾ إلى آخر الآية.

المبحث الثاني: السخرية، أسبابها، أثرها على الفرد والمجتمع، وكيفية معالجة القرآن الكريم لها **ويشمل أربعة مطالب:**

المطلب الأول أسباب السخرية ودوافعها.

المطلب الثاني: صفات الساخرين.

المطلب الثالث: مظاهر السخرية.

المطلب الرابع: أثر السخرية على الفرد والمجتمع، ومنهج القرآن الكريم في معالجة هذا الأسلوب.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث .

ثم: أهم المصادر والمراجع التي استفدت منها في البحث

وأخيرا: فهرس لموضوعات البحث.

التمهيد

بين يدي سورة الحجرات

سورة الحجرات هي السورة التاسعة والأربعون في ترتيب المصحف، وهي أول سور المفصل نزولًا، عدد آياتها ثمان عشرة آية .نزلت بعد سورة المجادلة بالمدينة في السنة التاسعة من الهجرة(١).

وجه تسميتها بالحجرات: سميت السورة بذلك لورود لفظ (الحجرات) فيها وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لا يَعۡقِلُونَ﴾(٢) [الحجرات: ٣]، والحجرات جمع حجرة، وهي الغرف التي كانت تسكن فيهن زوجات النبي ﷺ.

محور السورة: ترتكز السورة على ترسيخ الآداب والأخلاق في نفوس المسلمين، فقد جاء النداء فيها بوصف الإيمان في خمس مواضع وفي كل

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٢١٣/٢٦.

(٢) وذكر المفسرون لنزول هذه الآية عدة أسباب منها: ما رواه الأقرع بن حابس من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخرج إلينا فلم يجبه فقال يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي لشين فقال: ذلك الله فانزل الله عز وجل {إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون} . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨٤/٢٢) وأحمد في مسنده (٣٦٩/٢٥) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٠٠) وابن كثير في تفسيره بلفظ مقارب (٣٤٤/٧) والسيوطي في الدر المنثور(٥٥٢/٧) .
وعن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سريَّة إِلى بني العنبر (جماعة من بني تميم،) وأمَّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما عَلِموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذَّراري، فقَدِموا وقت الظهيرة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائل، فجعلوا ينادون: يا محمد اخْرُج إِلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية. ذكره الثعلبي في تفسيره (٣٥٨/٢٤)، البغوي في المعالم (٣٣٧/٧). وابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥/٤). الألوسي في روح المعاني (٢٩٤/١٣)، الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ٢٢٤/٢٦ .

موضع يرشدنا سبحانه وتعالى إلى مكرمة من المكارم وفضيلة من الفضائل، فهي ترشد المؤمنين إلى:

- ما يجب عليهم نحو خالقهم سبحانه وتعالى وما يجب عليهم نحو نبيهم عليه الصلاة والسلام وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾
- ما يجب أن يتأدبوا به في حضرة الرسول- صلى الله عليه وسلم – وفي محاورتهم له من خفض الصوت توقيرًا وتعظيمًا له، وعدم ندائه باسمه كما ينادي بعضهم بعضًا، فهو ليس كعامة الناس بل هو رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين .
- التثبت في الأخبار والتحقق منها قبل أن يبرموا فيها أمرا أو يقضوا فيها حكمًا خاصة إذا كان صاحب هذا الخبر غير عدل؛ لما يترتب على الإخلال بذلك من خطر كبير، ووقوع في الإثم .
- الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الفئة الباغية، ومقاتلتها إذا أصرت على العدوان وأبت الصلح حتى ترجع إلى أمر الله تعالى .

التحذير من تفكك الجماعة المؤمنة وإثارة النزاع بين أفرادها، وتوليد الأحقاد والضغائن والكراهية بسبب السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، سواء بين الرجال أو النساء، أو بسبب سوء الظن بالمسلم والتجسس (تتبع العورات) والغيبة والنميمة

- أعلنت مبدأ الإخاء الإنساني، والمساواة بين الشعوب والأفراد من مختلف الأجناس والألوان وبينت أن ميزان التفاضل بين الخلق هو تقوى الله والعمل الصالح.

مناسبة السورة لما قبلها: تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي سورة الفتح من نواح ثلاث، هي:

- في سورة الفتح حكم قتال الكفار، وفي هذه حكم قتال البغاة .
- ختمت سورة الفتح بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وافتتحت هذه بـــ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحجرات: ١]، تذكيرا لهم بحرمتهم عند الله عندما وصفهم بكونهم أشداء رحماء، مما يقتضي المحافظة على أواصر هذه الإخوة وعدم نبذها بأخلاق الجاهلية.
- في كلتا السورتين تشريف وتكريم لرسول الله ﷺ خصوصا في مطلع كل منهما، والتشريف يقتضي من المؤمنين الرضا بما رضي به الرسول ﷺ من صلح الحديبية، وألا يتركوا شيئا من احترامه قولا وفعلا(١).

مصطلحات البحث:

إن من أولويات المهام في البحث العلمي تحديد المصطلحات وبيان معناها وقد اشتمل هذا البحث على عدة مصطلحات لعل من أهمها الوعي الأخلاقي والسخرية؛ لذلك سأتعرض لمعنى الوعي باعتبار جزئيه مرة وباعتباره مركب وصفي مرة أخرى. ومعنى السخرية والفرق بينها وبين الاستهزاء.

أولًا: تعريف الوعي: الوَعْيُ: حِفْظ القلبِ للشيءَ. وعَى الشَّيْءَ وَالْحَدِيثَ يَعِيه وَعْيًا وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فَهُوَ واعٍ وفي الحديث "نضَّر اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقالَتي فوَعاها، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعى مِنْ سامِعٍ(٢)"(٣).

---

(١) التفسير المنير لوهبة الزحيلي، ٢١١/٢٦ بتصرف .٣٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث زيد بن ثابت، ٤٦٧/٣٥ رقم ٢١٥٩٠، وابن ماجه في سننه، باب: من بلغ علمًا،٨٤/١ رقم ٢٣٠، والترمذي في سننه، باب: ما جاء في تبليغ السماع، ٣٣/٥ برقم ٢٦٥٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٥/ ٣٩٦، تهذيب اللغة للأزهري، باب العين والميم ١٦٦/٣،النهاية في غريب الحديث والأثر لابن أثير ٢٨/٥

ثانيا: تعريف الأخلاق في اللغة:الأخلاق جمع خلق، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، ومعناها في كتب اللغة: التقديرُ، يقال: خَلَقْتُ الأديمَ، إذا قَدَّرْتَهُ قبل القطع، وتطلق ويراد بها الدّين والخلق الْمُرُوءَة والسجِيّةُ[١].

الأخلاق اصطلاحا: الخُلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلّا بالرياضة والاجتهاد[٢].

وعرفها القاضي الجرجاني بأنها: هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا[٣].

ومن خلال ما سبق يمكن أن نعرف الوعي الأخلاقي باعتباره مركب وصفي بأنه:

الفهم الدقيق للقيم والمبادئ الأخلاقية التي نص عليها ديننا الحنيف، والقدرة على تطبيقها سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، واتخاذ القررات وفق ضوابط ومعايير أخلاقية.

معنى السخرية: في اللغة: السخرية بِكَسْر السِّين من الِاسْتِهْزَاء والاستجهال وَبِضَمِّهَا من السخرة والتسخير[٤].

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢٣٩/١، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٤٧٠/٤.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٦١/١.

(٣) التعريفات للقاضي الجرجاني ، باب الخاء، ص ١٠١.

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، باب س خ ر، ٢٠٩/٢.

وقال الرازي في المختار: سَخِرَ منه وبه، ضحك منه وبه وَهَزِئَ منه وبه، كل يقال والاسم (السُّخْرِيَّةُ) وَ(سَخَّرَهُ) (تَسْخِيرًا) كلفه عملا بلا أجرة، وكذا (تَسَخَّرَهُ). وَ(التَّسْخِيرُ) أَيْضًا التَّذْلِيلُ.ونحوه ذكر صاحب التاج[١].

في الاصطلاح: عرفها الواحدي بأنها:: الإيهام للشيء والانطواء على خلافه[٢].

وقال السمعاني: "السخرية: هيَ الِاسْتِهْزَاء والبطر يَعْنِي: المهانة والاحتقار، وقال الألوسي: " الاستهزاء الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وبالإشارة والإيماء[٣].

وقال ابن حجر: السخرية: فعل الساخر، وهو الذي يهزأ منه، والسخرية تسخير خاص والسخرية سياقة الشيء إلى الغرض المختص به قهرًا، فورد النهي عن استهزاء المرء بالآخر تنقيصًا له مع احتمال أن يكون في نفس الأمر خيرًا منه. وقد أخرج مسلم عن أبي هريرة "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم[٤].

ومن خلال عرض هذه التعريفات نستنتج أن السخرية هي: احتقار الناس والاستهزاء بهم وتتبع عيوبهم والتقليل من شأنهم، أو الاستعلاء عليهم سواء بالقول أو الفعل أو الإشارة أو التعريض.

مختار الصحاح، باب (س خ ر) ص ١٤٤، تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي١١/ ٥٢٢. (١)

(٢) التفسير البسيط للواحدي ١٠٥/٤.

(٣) تفسير القرآن للسمعاني، ٢٢١/٥.روح المعاني للألوسي ١/ ١٦٠ .

فتح الباري بشرح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٦٤.والحديث في صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، ١٠/٨. (٤)

الفرق بين الاستهزاء والسخرية: لكي نقف على الفرق بين السخرية والاستهزاء لابد أولاً أن نتعرض لمعنى الاستهزاء في اللغة والاصطلاح مثلما تعرضنا للفظ السخرية، وهاك معنى الاستهزاء في اللغة والاصطلاح:

الاستهزاء في اللغة: الناظر في كتب اللغة يجد أن بعض علماء اللغة عرفوا الاستهزاء بالسخرية، قال الخليل في العين: " الهُزْءُ: السُّخْرية، يقال: هَزِيءَ به يَهْزأُ به، واسْتَهزأَ به، وتَهَزَّأَ به وَرجل هُزَأَةٌ يَهَزَأُ بالنَّاس، وَرجل هُزْأَة: يُهزأُ بِهِ". وبنحوه ذكر الأزهري وابن فارس وابن منظور(١).

وعرفه صاحب المحيط في اللغة بـــ(السخرية والحركة والموت والسرعة) حيث قال:" الهُزْءُ: السُّخْرِيَّةُ، هَزِئَ به يَهْزَأُ، وهَزَأَ، واسْتَهْزَأَ، وتَهَزَّأَ به، وهَزَأني البَرْدُ: إذا أصابَكَ بِشِدَّةٍ. وقد أهْزَأْتُ: [دَخَلْتَ] في شِدَّةِ البَرْد وأقْبَلَتْ ناقَتُه تَهْزَأُ به: أي تُسْرِع، وهَزْءًا ماتَ، وهَزِئَ يَهْزَأُ وضَرَبَه حتّى أهْزَأه أي قَتَلَه(٢).

في الاصطلاح: قال الغزالي: "وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام(٣).

وقال الراغب: "الهُزْءُ: مزح في خفية، وقد يقال لما هو كالمزح(٤).

الفرق بين السخرية والاستهزاء: الناظر في كتب اللغة والتفسير يجد أن معظم العلماء لم يفرقوا بين السخرية والاستهزاء بل جعلوا كلا منهما يستعمل في المعنى الذي يستعمل فيه الآخر، قال السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿يأَيهَا

---

(١) العين للخليل بن أحمد، ٧٥/٤، تهذيب اللغة، ٦/ ١٩٦، مجمل اللغة لابن فاس، ص ٩٠٤، لسان العرب لابن منظور ١٨٣/١، .

(٢) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، ٣٧/٤.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي، ١٥٠/٣.

(٤) المفرادات للراغب الأصفهاني، ص٨٤١.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لا يسخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيۡرا مِّنۡهُمۡ ﴾ السخرية: هُوَ الِاسْتِهْزَاء والبطر يَعْنِي: المهانة والاحتقار.وقال الكشاف عند تفسير قوله تعالى" ﴿إِنَّمَا نَحنُ مُستَهزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] الاستهزاء: السخرية والاستخفاف، وأصل الباب الخفة – من الهزء وهو القتل السريع– وهزأ يهزأ: مات على المكان. وبنحوه ذكرالرازي والقرطبي والألوسي. وغيرهم(١). إلا إن البعض قد فرق بينهما:

قال صاحب الفروق:"والسّخرية: هي الاحتقار، والذّل، والازدراء؛ لضعف، أو عيب، أو نقص، أو جبن، وتكون قولًا، أو فعلًا في وجه المسخور منه، والسّخرية: لا تستعمل إلا مع الأشخاص، أو الأعمال، ولا بدَّ من وقوع فعل سابق من المسخور منه؛ أي: لا بد من وجود سبب يدعو إلى السخرية، وتختلف عن الاستهزاء الذي لا يقتضي بوجود سبب له". وقال الزركشي: " الاستهزاء هو إسماع الإساءة والسخرية قد تكون في النفس، لهذا يقولون: سخرت منه كما يقولون: عجبت منه (٢)".

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن السخرية والاستهزاء يتفقان في أن الغرض منهما التقليل والتحقير من شأن الأخرين. ويختلفان في أن الاستهزاء أعم من السخرية فقد يكون بالأشخاص أو بغيرهم كالاستهزاء بالآيات، والاستهزاء بالعلماء وغير ذلك، أما السخرية فهي خاصة بالأشخاص. كذلك في السخرية لابد من وجود سبب يقتضي السخرية، أما الاستهزاء فلا يقتضي ذلك. والله أعلم.

---

(١) راجع: تفسير السمعاني ٢٢١/٥، تفسير الكشاف ٦٦/١، مفاتيح الغيب للرازي ٣٨٧/١٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٣/١٦، روح المعاني للألوسي ١٦٠/١.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، باب: الجد والانكماش، ص ٢٥٥.البرهان في علوم الإتقان ٣٨١/٣.

المبحث الأول

الأخلاق ومكانتها في ظل انتشار الفوضى واختلال القيم والمبادئ

المطلب الأول: مكانة الأخلاق في الإسلام:

للأخلاق في الإسلام مكانة سامية، ودرجة رفيعة، وأهمية كبيرة حتى جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد في مسنده "انما بعثت لأتمم مَكَارِمِ الأخلاق"[١] فالأخلاق أصل في الشرائع السماوية السابقة والغرض من بعثة النبيﷺ هو تقويم هذه الأخلاق ونشر مكارمها، قَالَ ﷺ في الحَدِيث الْمُتَّفق عَلَيْهِ "إنما مثلي وَمثل الأنبياء كَمثل رجل بنى دَارًا فأتمها وأكملها إلا مَوضِع لبنة فَكَانَ النَّاس يطيفون بهَا ويعجبون من حسنها وَيَقُولُونَ لَوْلا مَوضِع اللبنة فَأَنا تِلْكَ اللبنة "[٢]فبه أكمل الله الدّين المتضمن لِلْأَمْرِ بِكُل مَعْرُوف وَالنَّهْي عَن كل مُنكر وإحلال كل طيب وَتَحْرِيم كل خَبِيث، وقد أثنى المولى – سبحانه وتعالى – على نبيه ﷺ بحسن الخلق فقال له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ولا يمدح الله نبيه ﷺ بشيء إلا وله مكانة عظيمة عنده تعالى، وسئلت السيدة عائشة –رضي الله عنها – عن خلق النبي ﷺ فقالت {كان خلقه القرآن } وقرآت من أوائل سورة المؤمنين إلى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِين هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾[٣] [المؤمنون: ٥] وقالت هكذا كان خلق النبي ﷺ. لذلك حث عليها النبي ﷺ، وجعلها من أعظم أسباب دخول الجنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئلَ رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخِلُ الناس الجنةَ؟ فقال: "تقوى الله وحُسنُ الخُلُق [٤]، وبين ﷺ أن حُسن

---

(١) اسبق تخريجه ص٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين،ج٧،ص٦٤رقم ٢٢٨٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند الصديقة رضي الله عنها، ١٨٣/٤٢ رقم٢٥٣٠٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث أبي رمثة رضي الله عنه، ٤٨/١٥، رقم ٩٠٩٦، الترمذي في سننه، باب ما جاء في حسن الخلق، ٣٦٣/٤،رقم٢٠٠٤.

الخُلُق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة، كما قال النبي ﷺ: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار، القائم الليل[١]. وفي حديث آخر ضمن لصاحب الخلق دخول الجنة، بل الوصول إلى أعلى درجاتها، فقال: ("أنا زعيمٌ ببيت في ربَضِ أطراف الجنّةِ لِمَن ترَك المِراءَ وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسَط الجنة لِمَن ترَك الكذبَ وإن كان مازحًا، ببيتٍ في أعلى الجنّة لمن حسُن خلُقه").[٢]؛ لذلك حرص الإسلام على غرس تلك الأخلاق ومكارمها وفضائلها في نفوس أتباعه، وحثهم على التمسك بها ورغبهم فيها، وكان لهذا أثرًا بالغًا في رقي المجتمع وازدهاره فعندما تنتشر الأخلاق الفاضلة في المجتمع يتقدم ويزدهر، بل إن أصل الحضارة الحقيقية هي حضارة الإنسان وسمو أخلاقه، ويقول في هذا المعنى أمير الشعراء:

إنما الأمم الأخـــــلاق مـــا بقيت ** فإن هـــمُ ذهبت أخـــلاقهم ذهبوا[٣]

فالأخلاق الكريمة علامة على سلامة القلب، وطهارة النفس، وصحة العقيدة، ورصانة الفكر.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في ترسيخ القيم الأخلاقية في نفوس المؤمنين:

المتأمل في كتاب الله يجد أنه حافل بصفوة الأخلاق التي تبني الإنسان وتعزز إنسانيته وكرامته وتضمن له السعادة في الدنيا والأخرة، ولترسيخ هذه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها بلفظ"إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"، باب: الصديقة رضي الله عنها، ٣٤٦/٤٢برقم٢٥٥٣٧، والبيهقي في شعب الإيمان، باب: حسن الخلق، ٢٣٧/٦، برقم ٧٩٩٨، ورواه البخاري في الأدب المفرد، باب: حسن الخلق إذا فقهوا، ص ١٤٨ برقم ٢٨٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب في حسن الخلق، ٣٥٣/٤، برقم ٤٨٠٠،والبيهقي في شعب الإيمان، باب: حسن الخلق، ٢٤٣/٦ برقم ٨٠١٧.

(٣) هذا البيت من بحر البسيط، وينسب إلى أحمد شوقي أشهر شعراء العصر الحديث

الأخلاق في نفوس المؤمنين نجد أن القرآن سلك لذلك وجوها عدة عن طريق الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد،ووصف الجنة وما تحمله من نعيم دائم لأصحاب الأخلاق الحميدة، ووصف النار وما تحمله من عذاب أليم لأصحاب الأخلاق الذميمة إلى غير ذلك من الأساليب، وهاك بعض هذه الآساليب في ترسيخ هذه الأخلاق .

١- **التنوع في أسلوب الأمر**، فتارة يأتي الأمر مباشر وصريح، وتارة أخرى يأتي الكلام على سبيل الإخبار الذي يحمل في طياته حمل النفس على التحلي بالفضائل أو التخلي عن الرذائل.

فمن الأمر الصريح المباشر، الأمر بالوفاء بالعهد في قوله تعالى: ﴿وَأَوفُوا بِٱلعَهدِۖ إِنَّ ٱلعَهدَ كَانَ مَسئُولا﴾ الإسراء:٣٤ ومنها الأمر بالتعاون على البر والتقوى في قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ (المائدة: ٢) ومنها الأمر بتقوى الله تعالى والالتزام بالصدق في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ (التوبة: ١١٩). فالأمر في هذه الآيات واضح وصريح لا يحتاج إلى إعمال فكر.

ومن الآيات التي أخبرت عن الأخلاق وكان فحواها يقتضي الألتزام بما فيها من فضائل والتخلي عن الرذائل قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا

صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٣ – ٧٦).

فالمتأمل في هذه الآيات يجد أن المولى سبحانه وتعالى قد أثنى على عباده المتصفين بهذه الصفات ونوه بشأنهم في أول الآية حيث أضافهم سبحانه وتعالى إليه بقوله ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وهذه الإضافة إضافة تشريف وتخصيص.. قال القرطبي: "أضافهم إلى عبوديته تشريفا لهم، كما أضافه ﷺ إليه في قوله تعالى ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾ [الإسراء: ١] وقال أبو حيان: "الإضافة إضافة تشريف وتفضل(١).

وفي نهاية الآية وعدهم سبحانه وتعالى بالفوز بالدرجات العلى من الجنة. فهي حث للسامع بأن يتحلى بهذه الصفات ويجاهد نفسه حتى يصل إلى هذه المنزلة الرفيعة .

٢- **الجمع بين الترغيب والترهيب**، والثواب والعقاب، وهذا الأسلوب امتاز به القرآن الكريم، وهو أنجع الأساليب؛ لترسيخ الأخلاق الحميدة في النفوس؛ لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب، اللذين علم الله من طبيعة البشر أنهما يشكلان حافزًا قويًّا؛ للإقبال على كل ما هو نافع، والإمساك عن كل ما هو ضار .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٧/١٣، البحر المحيط في التفسير ٦٠٦/٢.

قال الإمام ابن كثير:" وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالي: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلمِهِمۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلعِقَابِ﴾ [الرَّعْدِ: ٦]، وقال تعالى ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلعَذَابُ ٱلأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوبِ شَدِيدِ ٱلعِقَابِ ذِي ٱلطَّولِۖ﴾ [غَافِرَ: ٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُۥ هُوَ يُبدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلغَفُورُ ٱلوَدُودُ﴾ [الْبُرُوجِ: ١٢ -١٤](١).

ومن جمعه سبحانه وتعالى بين الثواب والعقاب قوله تعالى ﴿لِّيَجزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدقِهِم وَيُعَذِّبَ ٱلمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيهِمۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورا رَّحِيما﴾ [الأحزاب آية ٢٤].

نقل ابن عادل عن الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: "جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء، وأرادوها، بسبب تبديلهم وتغييرهم، كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم، فكل من الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب، فكأنهما استويا في طلبها، والسعي لتحصيلها(٢).

وقال الإمام أبو السعود: جرت السنةُ الإلهيةُ على شفْع الوعدِ بالوعيد مراعاةً لما تقتضيه الحِكمةُ في إرشاد العبادِ من الترغيب تارةً والترهيبِ أخرى والتبشيرِ مرةً والإنذارِ أخرى(٣) .

قال الزرقاني في المناهل: الترغيب والترهيب أسلوب له تأثيره في نفوس كثير من البشر؛ لأن الإنسان جبل على حب الخير، والرغبة في الحصول على

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣٥٧/٣.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٥/ ٥٢٩.ونحوه ذكر الشوكاني في فتح القدير ٣١٣/٤.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٢٢/١.

كل محبوب، كما طبع على بغض الشر، وما يصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، وحينئذ فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، ويحميها من كل شر، سواء كان ذلك عاجلا أو آجلا؛ ولذلك فالترغيب والترهيب يفيض بهما بحرا الكتاب والسنة(١). والأمثلة على ذلك كثير اكتفينا بما ذكر خشية الإطالة.

٣- **ذكر الجنة وما تحمله من نعيم دائم، وذكر النار وما تحمله من عذاب مقيم**

والحكمة من هذا ترغيبا للمؤمنين وحثّا لهم على الطّاعات وتحمّل مشاقّ العبادة؛ ذلك أنّ الإنسان إذا علم أنّ الله قد أعدّ له دارا فيها كلّ ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، تولّدت عنده الرّغبة الصّادقة في أن يكون من أهل هذه الجنّة وسعى لها سعيها فكان من المتّقين، ومن المحسنين، ومن الذّاكرين ومن المخبتين، ومن المنفقين، ومن الأوّابين المنيبين الّذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعا(٢).

قال تعالى ﴿ٱدخُلُوا ٱلجَنَّةَ أَنتُم وَأَزوَٰجُكُمۡ تُحبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشتَهِيهِ ٱلأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلأَعيُنُۖ وَأَنتُم فِيهَا خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلكَ ٱلجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ (٧٢) لَكُم فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنهَا تَأكُلُونَ﴾ [الدخان٧٠: ٧٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

وصف النار وما تحمله من عذاب سقيم لمن يستحقها من أصحاب الاخلاق الذميمة.

قال تعالى ﴿وَإِن يستَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٖ كَٱلمُهلِ يشوِى ٱلوُجُوهَۚ بِئسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَت مُرتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩].

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ٣٠٨/١.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (مجموعة من المؤلفين)٢١٢٧/٢ .

٤- **تأكيد أهمية الدعاء لاكتساب مكارم الأخلاق** . ففي القرآن آيات كثيرة فيها الحثّ على دعاء الله عزوجل لاكتساب مكارم الأخلاق، ووعد رباني بالاستجابة لمن يدعوه. وإيذان بأنه قريب، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَليستَجِيبُوا لِى وَلْيُؤمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يرشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦].

قال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَدخِلنِى مُدخَلَ صِدقٍ وَأَخرِجنِى مُخرَجَ صِدقٍ وَٱجعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلطَٰنا نَّصِيرا﴾ [الإسراء:٨٠] وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِن هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾الإسراء:٩٧ وقال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلنِى مُنزَلا مُّبَارَكا وَأَنتَ خَيرُ ٱلمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩] فالدعاء من العبادات التي جعل الله تعالى لها أهمية كبرى في حياة المسلم؛ لما لها من أثر كبير في الدنيا بدفع البلاء ورفع المصائب، وفي الآخرة من أجر كبير وثواب جزيل .

قال الماتريدي: " وقد جاء " الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ"؛ لأن العبادة قد تكون بالتقليد، والدعاء لا يحتمل التقليد، ولكن إنما يكون عند الحاجة لما رأى العبد من نفسه الحاجة والعجز عن القيام بذلك، فعند ذلك يفزع إلى ربه." (١) ولذلك نرى أن النصوص القرآنية قد أمرت به وحثت عليه، بل جاء التخويف من تركه والإعراض عنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدعُونِىٓ أَستَجِب لَكُم ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِى سَيدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَٱصبِر نَفسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يدعُونَ رَبَّهُم بِٱلغَدَوٰةِ وَٱلعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُۥ ۖ وَلا تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُرِيدُ زِينَةَ ٱلحَيوٰةِ ٱلدُّنيا ۖ وَلا تُطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُۥ عَن ذِكرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمرُهُۥ فُرُطا﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٣١٨/١.

٥- **استخدام القصص القرآني:** من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في ترسيخ الأخلاق في نفوس المؤمنين، فالمتأمل للقصص القرآني يجد أن الله عز وجل بعد سوقه للقصة القرآنية يعقب عليها بطريقة تدعو إلى الاتعاظ والاعتبار والتركيز على الأخلاق، فعلى سبيل المثال لا الحصر، بعد سوقه عزوجل لقصة هود عليه السلام، وبيان أنه -سبحانه وتعالى- أهلك قومه بريح صرصر عاتية، أي شديدة الهبوب، وذات البرد الشديد، يعقب بقوله عزوجل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٩] أي: إن الاتّعاظ بإهلاك قبيلة عاد الشديدة العاتية أمر واجب على أهل الإيمان والعقل الراجح، فيكون الجزاء لأمثالهم المكذّبين واحدًا، لاتّحاد سبب الجزاء.

المطلب الثالث: النهي عن بعض الأخلاق الذميمة في ضوء قوله تعالى: ﴿يأيُهَا ٱلَّذينَ ءَامَنُوا لا يسخَرْ قَوْم مِّن قَوْمٍ ..... ﴾

سبب نزول هذه الآية: ورد في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال، منها:

ما ذكره الواحدي في سبب نزول صدر هذه الآية عن ابن عباس من طريق عكرمة: إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ "هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد"، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنها نزلت في نساء النبي عيرن أم سلمة بالقصر(٢).

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٣٩٣،: معالم التنزيل للبغوى، ٣٤٣/٧، أنوار التنزيل للبيضاوي، ١٣٦/٥، التحرير والتوير، ٢٤٦/٢٦.

(٢) المراجع السابقة .

وعن عبد الله بن عباس أنها نزلت في ثابت بن قيس وذلك أنّه كان في أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ، وقد سبقوه بالمجلس، أوسعوا له حتّى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم، وقد فاته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله ﷺ، فلمّا انصرف النبيّ ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم منه، فربض كلّ رجل بمجلسه، فلا يكاد يوسع أحد لأحد، فكان الرجل إذا جاء، فلم يجد مجلسا، قام قائما، كما هو، فلمّا فرغ ثابت من الصلاة، وقام منها، أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يتخطّى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل قال له: تفسح. فقال له الرجل: قد أصبت مجلسا، فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا، فلمّا أبينت الظلمة، غمز ثابت الرجل، وقال: من هذا؟ قال: أنا فلان. فقال له ثابت ابن فلانة. ذكر أمّا له كان يعيّر بها في الجاهلية. فنكس الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية(١).

وعن الضحاك قال: نزلت في وفد بني تميم، كانوا يستهزؤون بفقراء أصحاب النبي ﷺ مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم.(٢).

وفي قوله ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ نزلت في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية – وهي ثوب أبيض – وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة انظري إلى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذا كان سخريتها.

---

(١) تفسير الثعلبي، ٨٠/٩، أسباب النزول للواحدي ص ٣٩٣، لباب التفاسير للكرماني ص ٢٩٤٨، زاد المسير لابن الجوزي، ١٤٨/٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٢٤/١٦ .

(٢) تفسير الثعلبي، ٨٠/٩، لباب التأويل للخازن ١٨١/٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٥٤٥/١٧.

وقال أنس: نزلت في نساء النبي ﷺعيرن أم سلمة بالقصر. وقال عكرمة عن ابن عباس إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ "هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد"، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

وفي قوله ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَبِ﴾ أخرج الترمذي في سننه عَنْ أَبِي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يَكُونُ لَهُ الاسْمَانِ وَالثَّلاثَةُ»، فَيُدْعَى بِبَعْضِهَا، فَعَسَى أَنْ يَكْرَهَ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَبِ﴾(٢).

وبعد عرض أسباب النزول نجد أن هذه الآيات نزلت لتقويم أخلاق المسلمين التي ما زال متعلقًا بها مساوئ من مساوئ الجاهلية فكان الرجل فيهم يسطو ويهمز ويلمز وينبز بالألقاب ويظن الظنون

إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة، فنهت هذه الآيات عن ذلك نهيًا مشددًا وبينت الجوانب التربوية القيمة التي يجب أن يتحلى بها المسلم والمجتمع المسلم حتى يكون مجتمع متماسك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

قال أبو حيان:" هذه الآية والتي بعدها تأديب للأمة، لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها(٣).

وقال ابن عطية: " هذه الآيات والتي بعدها نَزَلتْ في خُلق أهل الجاهلية، وذلك لأنهم كانوا يَجرون مع شهوات نفوسهم، لم يُقَوِّمهم أمْرٌ مِن الله ولا نهيٌ،

---

(١) كذا ذكره الواحدي في الأسباب ص ٤٠٩، البغوي في المعالم ٣٤٣/٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٦/١٦.لباب التأويل للخازن ١٨١/٤

(٢) سنن الترمذي، باب: ومن سورة الحجرات، ٥/ ٣٠٨ ح ٣٢٦٨. كذا ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٥٦٤/٧.

(٣) البحر المحيط في التفسير، ٥١٦/٩.

فكان الرجل يسخر، ويهمز، ويلمز، وينبز بالألقاب، ويظنّ الظّنون فيتكلّم بها، ويغتاب، ويفتخر بنَسَبه، إلى غير ذلك مِن أخلاق النفوس البطّالة، فنَزَلتْ هذه الآية تأديبًا لأمة محمد ﷺ. وذكر بعض الناس لهذه الآيات أسبابًا ...، والقويُّ عندي أنّ هذه الآية نَزَلتْ تقويمًا كسائر أمر الشرع، ولو تتبّعت الأسباب لكانت أكثر من أنْ تُحصى"[(١)]».

وهذا المنهج قد سلكه النبي ﷺ مع بعض الصحابة حرصًا منه على إبعادهم عن هذه العقلية الجاهلية والمفاهيم الخاطئة وغرس القيم والأخلاق الحميدة في نفوسهم.

وهاك جانب تطبيقي من حياة النبي ﷺ في النهي عن السخرية، مع السيدة عائشة رضي الله عنها وبعض الصحابة . فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:"قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا: تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا[(٢)].

وأخرج البخاري في صحيحه عن الأعمش عن المعرور، عن أبي ذر قال: «رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلاَمِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: أَسَابَبْتَ فُلاَنًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ[(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية، ١٤٩/٥.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب في الغيبة، ٢٦٩/٤، ح ٤٨٧٥.
(٣) صحيح البخاري، باب ما ينهى من السباب واللعان، ٨/ ١٦،ح ٦٠٥٠.ومسلم في صحيحه، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ٩٢/٥،ح ١٦٦١.

ومن منهجه كذلك أنه ﷺ امتحن بعض أصحابه ليدفع تلك الجاهلية العمياء ويربي المسلمين تربية علمية صحيحة تحررهم من سيطرة تلك المفاهيم الخاطئة على نفوسهم، ويبين لهم أن ميزان التفاضل عند الله هو التقوى والعمل الصالح. وهذا فيما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رسول الله ﷺ، فقال لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: (مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا). فَقَالَ: (رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حريٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنكح، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّع، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثم مر رجل، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا). فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حريٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنكح، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّع، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسمع لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا خير من ملء الأرض مثل هذا"(١).

ففي هذا الحديث توجيه حكيم للقيم الحقيقية وبيان بأنها تتمثل في الإيمان والتقوى، لا في الغنى والجاه، فالمؤمن الصادق في إيمانه، الكريم في أخلاقه، هو الذي يحرص على مخالطة أهل الإيمان والتقوى. ولا يمنعه فقرهم من مجالستهم ومصاحبتهم ومؤانستهم والتواضع لهم، والتقدم إليهم بما يسرهم ويشرح صدورهم.

علاقة الآية بما قبلها: لما بين سبحانه وتعالى في الآيات السابقة حق الله ثم حقوق النبي الكريم من غض الصوت وعدم التقدم عليه وعدم مناداته بجلافة، ثم انتقل إلى حق الجماعة فيما بينهم من التثبت من خبر الفاسق وبيان آثار الإيمان، والإصلاح بين المؤمنين، والتذكير بأخوتهم. جاء في هذه الآيات بما يؤكد على ضرورة صيانة هذه الأخوة الإسلامية ووقايتها من السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب؛ لأنهم من الأساليب المشينة التي تورث الحقد والضغائن، وتؤدي إلى تفكك المجتمع الإسلامي.

---

(١) صحيح البخاري، باب فضل الفقر، ٥/٢٣٦٩،ح ٦٠٨٢.

قال صاحب التحرير لما اقتضت الأخوة أن تحسن المعاملة بين الأخوين كان ما تقرر من إيجاب معاملة الإخوة بين المسلمين يقتضي حسن المعاملة بين آحادهم، فجاءت هذه الآيات منبهة على أمور من حسن المعاملة قد تقع الغفلة عن مراعاتها لكثرة تفشيها في الجاهلية [١].

معاني المفرادات:

{لا يسخر} السخرية: هي الاستهانة بالأخرين، وتتبع عيوبه والتنبيه على نقائصهم بوجه يضحك منه، وتكون بالقول أو بالفعل أو بالإشارة أو بالإيماء.

{وَلا تَلْمِزُوا} اللمز: العيب في الوجه بالعين والرأس والشفة، مع كلام خفي[٢].

والمعنى: أي لا يعب بعضكم بعضًا، ولا يطعن بعضكم على بعض.

والفرق بين الهمز واللمز، أن اللَّمزُ: هو العيب في الوجه، والهمز: العيب بالغيبة، وقد جمع بينهما الله عزوجل، وتوعد لفاعلهما في قوله تعالى {﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة: ١].

{وَلا تَنابَزُوا}: نبزت الرجل نبزا إِذا لقبته أَو عبته. وتنابز الْقَوْم إِذا تعايروا ولقب بَعضهم بَعْضًا[٣].

والمعنى: لا يدعو بعضكم بعضا بسوء الألقاب، والمراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادَى به، أو يُعد ذمًا له، فأما الألقاب التي تكسب حمدًا، وتكون صدقًا، فلا تكره.

{الاسْمُ} ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره[٤].

---

(١) التحرير والتوير للطاهر بن عاشور، ٢٤٦/٢٦.
(٢) المعجم والمحيط الأعظم، ٥٩/٩.
(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ٣٣٥/١.
(٤) تفسير أبي السعود ١٢١/٨.

{الفُسُوقُ} الفسق: العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق(١).

والمعنى: من فعل ما نهى المولى عنه من السخرية، واللمز، والنبز بالألقاب، فهو فاسق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسق، وقيل معناه: بئس الاسم الذي تسميه بقولك يا فاسق، أو يا يهودي، بعد أن علمت أنه من المؤمنين.

السخرية المنهي عنها في هذه الآية: اختُلِف في السُّخرية المنهيّ عنها في هذه الآية على قولين:

الأول: أنها استهزاء الغني بالفقير لفقره.

والثاني: أنها استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه. ولكن الأولى أن تحمل الآية على العموم وهذا ما يؤيدة السياق فقوله تعالى {لا يسخر قوم} نكرة في سياق النهي فيشمل جميع أنواع السخرية..

وهذا ما ذهب إليه الطبري في جامعه حيث قال "الصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمَّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميعَ معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركِبَه، ولا لغير ذلك وبنحوه قال ابنُ عطية.(٢).

مدلول النهي في الآية الكريمة:النهي في الآية الكريمة يقتضي التحريم؛ لأنه كما هو مقرر في كتب أصول الفقه "أن النهي المجرد من القرائن يدل على تحريم المنهي عنه حقيقة، ولا يصرف عن ذلك إلا بقرينة تدل على عدم التحريم"(٣).

---

(١) لسان العرب، ١٠/ ٣٠٨.

(٢) جامع البيان للطبري،٢٢/٢٩٧، المحرر الوجيز لابن عطية، ١٤٩/٥.

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (الشوكاني) ٢٧٩/١.

ولا توجد قرينة في الآية تقتضي صرف النهي عن التحريم، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء .

قال صاحب المنهاج في شعب الإيمان "اشتملت هذه الآيات على تحريم الاستهزاء والسخرية وتحريم اللمز وهو الغيب والرفعة(١).

وقال الألوسي:" اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره سواء كان صفة له أو لأبيه أو لأمه أو غيرهما"(٢).

تأملات في الآية الكريمة:

يقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لا يسخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾

هذا هو النداء الرابع في هذه السورة، وافتتحت الآية بإعادة النداء للاهتمام بالغرض الذي سيق الكلام من أجله، ولبيان أن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب يتنافي مع ما هم عليه من الإيمان .

قوله: {قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ} جاءت كلمة قوم نكرة في سياق النهي لتفيد العموم، قال الطاهر بن عاشور:" وتنكير قوم في الموضعين لإفادة الشياع، لئلا يتوهم نهي قوم معينين سخروا من قوم معينين. وإنما أسند يسخر إلى قوم دون أن يقول: لا يسخر بعضكم من بعض كما قال: {ولا يغتب بعضكم بعضا} [الحجرات: ١٢] للنهي عما كان شائعا بين العرب من، سخرية القبائل بعضها من بعض فوجه النهي إلى الأقوام(٣).

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان المؤلف: للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبي عبد الله الحَلِيمي (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) روح المعاني للألوسي ١٠٥/١٣.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور٢١٨/٢٦.

قوله {وَلا نِسَآء مِّن نِّسَآءٍ} خص الله – عز وجل– النساء بالذكر ؛دفعا لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال، ولأن الهزء يكون من النساء أكثر، فلا يفلت من النساء أحد من الهزء، حيث يهزأن بقصره وبلونه، وبكلامه، وبفقره.وغير ذلك.

قوله {وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَاب} جاء التعبير في التنابز بما يقتضي المفاعلة؛ لأنه عمل تغلب فيه المشاركة بين فريقين، فمن نبز غيره رد عليه المنبوز – في الحال– بمثل ما نبزه به أو بأسوء منه انتقامًا لنفسه، أما اللمز، فقد لا يجد الملموز ما يرد عليه به في الحال على اللامز، أو ربما لا يفطن إلى لمزه؛ لذلك أتى سبحانه وتعالى بلفظ لا يقتضي المفاعلة .

وعبر سبحانه وتعالى في جهة اللمز بقوله ﴿وَلا تَلمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ مع أن اللامز يلمز غيره، للإشارة إلى أن من عاب أخاه المسلم، فكأنما عاب نفسه. **قوله تعالى** ﴿ بَعدَ ٱلإِيمَٰنِۚ ﴾ يفيد التنفير من الفعل فكأنه سبحانه وتعالى يأنبهم على الوقوع في هذا الفعل الذي آل بهم إلى الفسوق والخروج عن طاعة الله تعالى بعد أن تحلوا بحلاوة الإيمان.

وفي قوله تعالى ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قصد لتعيينهم، والتسجيل عليهم بالظلم؛ لأنهم وضعوا العصيان موضع الطاعة، والفسوق في موضع الإيمان. والله أعلم.

المعنى العام للآية: في هذه الآية ينهى الله عز وجل عن أسلوب السخرية بشتى صورة ويبين أنه من الأساليب التي تتنافى مع الإيمان؛ لما له من أثر ضار على نفس المسخور منه. ونهى عن اللمز وهو أن يعيب المؤمنون بعضهم بعضًا ونهى عن التنابز بالألقاب، وهو نهي عام في كل لقب يكره المسلم أو ينادى به، وبين سبحانه وتعالى أن من يطلق هذه الأساليب فهو فاسق وظالم لنفسه؛ لأنه حقر ما وقره الله واستهزأ بمن عظمه الله تعالى.

المبحث الثاني

السخرية، أسبابها، أثرها على الفرد والمجتمع، وكيفية معالجة القرآن الكريم لها

المطلب الأول: أسباب السخرية ودوافعها:

١- **الكبر الذي يلازمه بطر الحق وغمط الناس**[١] ذلك لأن المتكبر يرى نفسه أكبر من غيره وأرفع مقامًا، فيترفع على الناس، ويستعلى عليهم، وينظر إليهم نظرة احتقار وازدراء، لا يقبل الحق ولو ظهر له حظؤه؛ لذلك كان سببًا في الحرمان من الجنة وهذا ما بينه ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:﴿يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لا يسخَرۡ قَوم مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، حيث قال:" ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ[٢]. وهذا الخلق ضار مكروه لصاحبه؛ لأن من أعجبته نفسه لا يستزد من اكتساب الأدب، ومن لم يستزد بقى على نقصه.

٢- **الحسد وتمني زوال النعمة من الغير** من الدوافع التي أدت إلى السخرية، وهذا ما بينه لنا الله عز وجل في قوله ﴿وَقَالُواْ لَوۡلا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَينِ عَظِيمٖ * أَهُمۡ يقسِمُونَ رَحمَتَ ﴾ الآية [الزخرف: ٣١، ٣٢] قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:" يعنون: لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجل في أعينهم {من القريتين} أي: مكة والطائف، وذلك لأنهم

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية لمجموعة من المؤلفين ٢/٢٩٠.
(٢) صحيح مسلم، باب: تحريم الكبر وبيانه، ١/٩٣، ح ٣٩.

كانوا يزدرون بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بغيًا وحسدًا، وعنادًا واستكبارًا، كما قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يذكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ۖ وَهُم بِذِكرِ ٱلرَّحمَٰنِ هُمْ ۖ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقال تعالى﴿وَإِذَا رَأَوكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولا﴾ [الفرقان: ٤١] وبنحوه ذكر أبو السعود(١).

والحسد نوعان: نوع محرم مذموم، وهو أن يتمنى زوال نعمة الله عن العبد –دينية أو دنيوية– وسواء أحب ذلك محبة استقرت في قلبه، ولم يجاهد نفسه عنها، أو سعى مع ذلك في إزالتها وإخفائها

والنوع الثاني: أن لا يتمنى زوال نعمة الله عن الغير، ولكن يتمنى حصول مثلها له، أو فوقها أو دونها.

وإلى النوع الأول يشير قوله تعالى ﴿وَدَّت طَّآئِفَة مِّنْ ۖ أَهلِ ٱلكِتَٰبِ لَوْ ۖ يُضِلُّونَكُمْ ۖ وَمَا يُضِلُّونَ إِلآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يشعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩] وقوله تعالى ﴿وَدَّ كَثِير مِّنْ ۖ أَهلِ ٱلكِتَٰبِ لَو يرُدُّونَكُم مِّنْ ۢ بَعدِ إِيمَٰنِكُمْ ۖ كُفَّارًا حَسَدا مِّنْ ۖ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

٣- **التسلية وضحك الهازئ الساخرعلى حساب آلام الأخرين** من أهم الدوافع إلى السخرية، وذلك عن طريق احتقارهم والازدراء بهم وتتبع عيوبهم، وهو من جملة الذنوب والكبائر التي نص عليها القرآن الكريم، وهذا الأسلوب مارسه الكفار كثيرا اتجاه المؤمنين في كثير من المواقف والمناسبات، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يضحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩] وقوله تعالى ﴿فَٱتَّخَذتُمُوهُمْ ۖ سِخرِيًّا حَتَّىٰٓ ۤ أَنسَوكُمْ ۖ ذِكرِى وَكُنتُم مِّنهُمْ ۖ تَضحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠] فمن الأسباب التي أدخلتهم النار،

(١) تفسير ابن كثير ٣٣٢/٣.إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٢٨١/٧.

استهزاؤهم، وسخريتهم من الفريق المؤمن الذي يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] فالكفار يسخرون من ضعفاء المؤمنين في الدنيا حتى ينسيهم ذلك ذكر الله، والإيمان به، فيدخلون بذلك النار. وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلا كَبِيرَةً إِلآ أَحصَاهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف:٤٩] إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة(١). بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر.

٤- **التقليد:** وهو عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقدًا للحقيقة فيه، من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادةً في عنقه(٢)، وهو من الدوافع التي أدت الى السخرية ومن الأساليب التي اتخذها المشركون في صد الدعوة، حيث إن هؤلاء لم يكن لهم حجة عقلية ولا نقلية على ما هم فيه من الشرك والضلال سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على دين، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِي قَريةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُترَفُوهَآ إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣] والله اعلم.

المطلب الثاني: صفات الساخرين:

المتأمل في القرآن الكريم يجد أن المولى- سبحانه وتعالى - وصف الساخرين بصفات كثيرة، تسلية لقلب النبي ﷺ من تكذيب القوم إياه، والطعن فيما

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ٢٩٩٢/٧، باب الضحك.

(٢) التعريفات، للجرجاني، ص ٦٤.

أنزل إليه والاستهزاء به، وبياناً بأن إيذاء الكفار للأنبياء الأخيار ليس بدعا، بل ذلك عادة جرت من قبل، وبيان حالهم للمسلمين حتى لا ينخدعون بأقوالهم، ووعيد لهؤلاء الساخرين .

ومن هذه الصفات:

١- **الكفر:** وهذه الصفة قد ذكرها الله عز وجل في غير ما آية من القرآن الكريم منها قوله تعالى﴿زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَرُوا ٱلحَيوٰةُ ٱلدُّنيا وَيسخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا فَوقَهُم يومَ ٱلقِيامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

والمتأمل في هذه الآية يجد أن المولى سبحانه وتعالى عبر في جهة التزيين (زُيِّنَ) بالفعل الماضي الدال على تحقق وقوع الفعل، وعبر عن سخريتهم من الذين آمنوا بالفعل المضارع {وَيَسْخَرُونَ} الدال على التجدد والحدوث ليبين أن السخرية بالمؤمنين من شأنها أن تتكرر وتقع مرة بعد أخرى. ومن الآيات كذلك التي تؤكد اتصاف الساخر بهذه الصفة قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱستُهزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبلِكَ فَأَملَيتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذتُهُم فَكيفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الانبياء ٣٢]. إلى غير ذلك من الآيات.

٢- **النفاق:** وهذه سمة من سمات الساخرين، وتختلف عن سابقتها في أن الأولى صاحبها مصرح بالكفر، وهذه صاحبها يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وقد جمع المولى سبحانه وتعالى بين هاتين الصفتين في قوله تعالى ﴿وَقَد نَزَّلَ عَلَيكُم فِى ٱلكِتَٰبِ أَن إِذَا سَمِعتُم ءَايَاتِ ٱللَّهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُستَهزَأُ بِهَا فَلَا تَقعُدُوا مَعَهُم حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيرِهِۦٓ إِنَّكُم إِذًا مِّثلُهُم إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلمُنَٰفِقِينَ وَٱلكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

قال المفسرون: إن المشركين بمكة كانوا في مجالسهم يخوضون في ذكر القرآن ويستهزئون به. فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم بقوله: ﴿وَإِذَا

رَأَيتَ ٱلَّذِينَ يخُوضُونَ فِيٓ ءَايتِنَا فَأَعرِضۡ عَنهُمۡ حَتَّىٰ يخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيرِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٦٨] . وهذه الآية من سورة الأنعام. وهي مكية.

فامتنع المسلمون عن القعود معهم. ولما قدموا المدينة كانوا يجلسون مع اليهود والمنافقين. وكان اليهود يستهزئون بالقرآن. فنزلت هذه الآية(١).

فهذه الآية وعيد وتهديد من الله تعالى لهؤلاء المستهزئين بآيات الله تعالى بأن مآلهم إلى جهنم، وتحذير للمسلمين بأنهم إذا لم يعرضوا عن هؤلاء الخائضين المستهزئين بآيات الله، فالمولى سبحانه وتعالى سيجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال .

٣- **الجهل وعدم العقل:** وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَومِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يأَمُرُكُمۡ أَن تَذۡبحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]. ففي الآية دلالة على أن الجهل من صفات الساخرين المستهزئين، قال الزجاج: انتفى موسى من الهزؤ؛ لأن الهازىء جاهل، لاعب فقال: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) فلما وضَح لهم أنه من عند الله (﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة:٦٨](٢).

ووصف الله -سبحانه وتعالى- هؤلاء السأخرين المستهزئين بعدم العقل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَاديتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوا وَلَعِباۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَومٞ لا يعقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]. فهؤلاء الكفار كانوا إذا سمعوا الأذان إلى الصلاة هزئوا، وإذا رأوا المسلمين يركعون ويسجدون ضحكوا ولعبوا ... فالمولى سبحانه وتعالى وصفهم بالجهل وعدم التعقل لعدم انتفاعهم بتعاليم الدين، فهم كالأنعام بل هم أضل ....قال ابن جرير في معنى هذه الآية: "وإذا أذن مؤذنكم، أيها المؤمنون

(١) بحر العلوم للسمرقندي، ٣٤٩/١، محاسن التأويل للقاسمي، ٣٧٣/٣.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٥٠/١، ونظر: زاد المسير لابن الجوري ٧٦/١.

بالصلاة، سخر من دعوتكم إليها هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، ولعبوا من ذلك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوم لا يعقِلُونَ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: "ذلك"، فعلهم الذي يفعلونه، وهو هزؤهم ولعبهم من الدعاء إلى الصلاة، إنما يفعلونه بجهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم إن أجابوا إلى الصلاة، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها، ولو عَقَلوا ما لمن فعل ذلك منهم عند الله من العقاب، ما فعلوه"(١). وقال أبو حيان: "ونفى العقل عنهم لما لم ينتفعوا به في الدين، واتخاذ دين الله هزوا ولعبا، فعل من لا عقل له(٢).

الإجرام: وهو ارتكابُ الجريمةِ، و(الجريمةُ): الذنبُ العظيمُ الذي يستحقُّ صاحبُه النكالَ. وقد بين المولى سبحانه وتعالى أن هذه الصفة من صفات الساخرين وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يضحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمۡ يتَغَامَزُونَ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ وَمَآ أُرۡسِلُوا عَلَيهِمۡ حَٰفِظِينَ فَٱليومَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلكُفَّارِ يَضحَكُونَ عَلَى ٱلأَرَآئِكِ ينظُرُونَ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلكُفَّارُ مَا كَانُوا يفعَلُونَ﴾ [المطففين ٢٩: ٣٥].

المطلب الثالث: مظاهر السخرية كما بينها القرآن الكريم:

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن الساخرين بالدين الإسلامي لم يتركوا شيئا إلا اسخروا منه فتارة يسخرون من الأنبياء وتارة يسخرون من المؤمنين وأخرى يسخرون من آيات الله تعالى، وهذه بعض النصوص التي توضح ذلك.

١- الاستهزاء بالنبي والأنبياء السابقين عليهم السلام.

الإستهزاء بالنبيﷺ والسخرية منه من أهم الأسلحة التي تصدى بها المشركون لمواجهة الدعوة الإسلامية، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوكَ إِن يتَّخِذُونَكَ إِلا

(١) جامع البيان للطبري ٤٣٢/١٠.
(٢) البحر المحيط في التفسير، ٣٠٣/٤.

هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولا﴾ [الفرقان:٤١]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولا﴾ إلينا (رَسُولا) من بين خلقه[١]. وقال القرطبي: "نزلت في أبي جهل كان يقول للنبي ﷺ مستهزئا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولا﴾[٢].

وهذا الاستهزاء ليس بدعًا في طريق النبي ﷺ ولا يعد أمرًا جديدًا تُواجَه به دعوة الحق، فالمولى سبحانه وتعالى بين للنبي ﷺ في أكثر من آية أنه قد استهزئ برسل من قبله، وأن هذه هي عادة الأعداء مع أنبياءهم، قال تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱستُهزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يستَهزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ فِى شِيعِ ٱلأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يأتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِۦ يستَهزِءُونَ﴾ [سورة الحجر: ١٠، ١١]. وقال تعالى ﴿وَكَمۡ أَرسَلنَا مِن نَّبِىّ فِى ٱلأَوَّلِينَ(٦) وَمَا يأتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلا كَانُوا بِهِۦ يستَهزِءُونَ﴾ [الزخرف: ٦، ٧]. فالاستهزاء بالدعوة والسخرية من الأنبياء قضية لها تاريخ رافقت الدعوة من لدن سيدنا نوح – عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد ﷺ.

وهذا اللون من السخرية لم ينته بوفاة النبي ﷺ بل ما زال أعداء الإسلام إلى الآن يتصيدون الشبهات التي يشككون بها في صدق نبوته وربانية رسالته بلا روية ولا حياء، والمولى سبحانه وتعالى يقيد في كل زمان ومكان من يتصدى لهذه الشبهات ويرد عليها، ويدحض شبه هؤلاء الطاعنين.

٢- السخرية والإستهزاء بشرائع الدين:

والاستهزاء بالدين وبشرائع الدين خلق من أخلاق المنافقين وأعداء الإسلام، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذا الخلق وعرفه للنبي ﷺ في غير ما آية وحكم

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٣/١٩.
(٢) المرجع السابق: ١٣/ ٣٥.

على فاعله بالردة والخروج عن الدين قال تعالى﴿وَلَئِن سَأَلتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبۡۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَاتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَستَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة٦٥، ٦٦].

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية عن زيد بن أسلم: أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء، فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فقال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ، تنكبه الحجارة، يقول: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبۡۚ ﴾ [التوبة: ٦٥] فيقول له النبيﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَاتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَستَهۡزِءُونَ﴾(١).

ومن صور الاستهزاء بشرائع الدين الأستهزاء بالصلاة وهذا ما بينه لنا المولى سبحانه وتعالى في قوله ﴿وَإِذَا نَادَيتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوا وَلَعِبٗاۚ﴾ [المائدة: ٥٨]، فأعداء الإسلام كانوا إذا نودي للصلاة استهزؤا وسخروا من المسلمين، وكان لهم في الاستهزاء والسخرية أساليب متنوعة .قال القرطبي: كان إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود: قاموا لا قاموا، وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا. وقالوا في حق الأذان: لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم. فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟ فما أقبحه من صوت، وما أسمجه من أمر؟(٢).

وقال ابن كثير – بعد سوقه لمعنى الآية –: "وهذه صفات أتباع الشيطان الذي إذا سمع الأذان أدبر وله حُصاص حتى لا يسمع التأذين(٣).

---

(١) جامع البيان،٥٤٣/١١، تفسير القرآن العظيم العظيم، ١٨٢٩/٦، التفسير الوجيز للواحدي ص٤٧٠. مفاتيح الغيب للرازي ١٦/ ٩٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٧/٨.

(٢)الجامع لأحكام القران ٢٢٤/٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ١٤٠.

ومن صور الاستهزاء كذلك الاستهزاء بأحكام الدين وهذا ما بينه لنا الله – عز وجل– في قوله ﴿وَإِذَا طَلَّقتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٖۚ وَلَا تُمسِكُوهُنَّ ضِرَارا لِّتَعتَدُواْ وَمَن يفعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]. ذكر المفسرون في سبب نزولها عن أبي الدرداء قال: كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول: إنّما طلّقت وأنا لاعب فيرجع فيها، ويعتق، فيقول مثل ذلك ويرجع فيه، وينكح، ويقول مثل ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾يقول: حدود الله، وقرأها رسول الله ﷺ، فقال: من طلق أو حرّر وأنكح وزعم أنّه لاعب فهو جدّ(١) (٢).

وكان هذا من باب الاستهزاء؛ لأنه مخالف لما أمر الله به سبحانه وتعالى في قوله ﴿فَإِمسَاكُۢ بِمَعرُوفٍ أَوۡ تَسرِيحُۢ بِإِحسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

من صور الاستهزاء كذلك استهزاء المنافقين بالنبي ﷺ في شأن الصدقة وذلك ما بينه لنا المولى سبحانه وتعالى في قوله ﴿وَمِنهُم مَّن يلمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية عن أبي سعيد، قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسما؛ إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، قال: " دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فينظر في قذذه فلا يجد شيئا، ثم ينظر في نصله فلا يجد شيئا، ثم ينظر في رصافه فلا يجد شيئا، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى يديه أو قال: يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، يخرجون

(١) جامع البيان للطبري، ١٠/٥، أحكام القرآن للجصاص، ٤٨٣/١، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٧٨/٢، البحر المحيط في التفسير٤٩٠/٢.

(٢) سنن الدار قطني، كتاب: الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، ٣٧/٥رقم ٣٩٤٥.

على حين فترة من الناس ". قال: فنزلت: ﴿وَمِنهُم مَّن يلمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٥٨] قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليا حين قتلهم جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ(١).

المطلب الرابع: أثر السخرية على الفرد والمجتمع، ومنهج القرآن الكريم في معالجة هذا الأسلوب

أثر السخرية على الفرد والمجتمع:

السخرية بجميع أساليبها التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم من أعظم القبائح ولها آثار ومضار جسيمة بعيدة المدى تعود على الفرد والمجتمع، منها أنها:

- تبذر بذور العداوة والبغضاء، وتولد في نفس المسخور منه الرغبة في الانتقام للذات.
- تُسبب الأذى النفسي والعاطفي للمسخور منه.
- تُسبب فقدان الثقة في نفس المسخور منه والتشكيك في قدراته.
- تُعرِّض صاحبها للافتضاح، فكما فضح الإنسان غيره، فإن الله سبحانه وتعالى يفضحه على رؤوس الأشهاد، وهذا ما بينه لنا النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أَبِو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ(٢).
- تُفقد الساخر الحياء، وتُسقط عنه المروءة، وتُميت قلبه، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساخر على ما قدم في وقت لا ينفع فيه الندم، قال تعالى {أَنْ تَقُولَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: من ترك الخوارج للتألف، ولئلا ينفر الناس عنه ٦/ ٢٥٤٠، رقم ٦٥٣٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٠/٣٣،ح ١٩٧٧٦.وأبو داود في سننه،باب في الغيبة، ٢٧٠/٤، ح ٤٨٨٠.

نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخرينَ} [الزمر:٥٦].

- تسبب الفُرقة والتفكك المجتمعي .
- تعود بالفرد والمجتمع إلى حالة من حالات الجاهلية العمياء، بعد أن بينها لهم النبي صلى الله عليه وسلم، وحذرهم منها، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.
- تزهد الناس في الدين وتحثهم على سوء الأخلاق، ودناءة النفوس، وخرافة الأفكار التي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي.

منهج القرآن الكريم في معالجة أسلوب السخرية

يُعد أسلوب السخرية من الأساليب الهدّامة للفرد والمجتمع، فهو يُحطم الكثير من القيم والمبادئ الدينية والمجتمعية، ويكسر هيبة القدوات والشخصيات المعتبرة دينيًا واجتماعيًا وهو من أكثر الأمور التي عانى منها النبي- صلى الله عليه وسلم- في جميع مراحل دعوته؛ لذلك نجد أن القرآن الكريم نهى عنها نهيًا مشددًا واتخذ عدة طرق لمعالجته.

وهناك بعض الطرق:

١- **توعية المسلمين بأساليب السخرية**، وبيان أنها من الأساليب القديمة التي استخدمها الأعداء مع أنبيائهم، واستخدمها المشركون في صد دعوة النبيﷺ، فلا يغفل المجتمع المسلم عن هذه الأساليب، وتتهيأ النفس للرد عليه وفق تعاليم القرآن الكريم. وقد ذكر القرآن الكريم استهزاء الأعداء بأنبيائهم تسرية وتسلية لقلب النبي ﷺ وللمسلمين. قال تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱستُهزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يستَهزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقال تعالى﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوۡ مَجنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلأ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنهُ قَالَ إِن تَسخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسخَرُونَ ﴾ [نوح:٣٨].

٢- **إن الله سبحانه وتعالى شدد النكير على فعلها وبين عقوبة فاعلها في أكثر من آية.** قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يلمِزُونَ ٱلمُطَّوِّعينَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لا يجِدُونَ إِلا جُهدَهُمۡ فَيسخَرُونَ مِنهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١] [التوبة: ٧٩] وقال تعالى ﴿ويلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ (١) ٱلَّذِى جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُۥ (٢) يحسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخلَدَهُۥ (٣) كَلَّاۖ لَينبَذَنَّ فِى ٱلحُطَمَةِ (٤) وَمَآ أَدرَاكَ مَا ٱلحُطَمَةُ (٥) نَارُ ٱللَّهِ ٱلمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة ١:٦] .

قال ابن جرير في معنى هذه الآية: "المراد بالهُمَزَة: مَن يغتاب الناس. واللُّمَزة: مَن يَطعن فيهم ويَعيبهم.، والمراد بالويل في قوله: {ويل لكل همزة} الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم {لكل همزة} يقول: لكلّ مغتاب للناس، يغتابهم ويبغضهم[٢].

٣- **تحريم الاستهزاء بالدين، والحكم بالكفر على من يطلق هذه السخرية** قال تعالى: ﴿يحذَرُ ٱلمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيهِمۡ سُورَة تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱستَهزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخرِج مَّا تَحذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَاتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَستَهزِءُونَ (٦٥) لا تَعتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرتُم بَعدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٤- ٦٦] فالأية نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر.

٤- **النهي عن مجالسة المستهزئين ومخالطتهم،** حتى يتكلموا في حديث آخر غير حديث الكفر والإلحاد، والحكم بالكفر على من لم يفعل ذلك. قال تعالى:

---

(١) أخرج البخاري ومسلم والنَّسَائِي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن اللَّه لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاءً فنزلت: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ ..)باب: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ،٥١٣/٢ ح ٩.

(٢) جامع البيان ٥٢٥/٢٤.

﴿وَإِذَا رَأَيتَ ٱلَّذِينَ يخُوضُونَ فِيٓ ءَايَاتِنَا فَأَعرِضۡ عَنهُمۡ حَتَّىٰ يخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيرِهِۦۚ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال تعالى ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيكُمۡ فِي ٱلكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعتُمۡ ءَايَاتِ ٱللَّهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُستَهزَأُ بِهَا فَلَا تَقعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلمُنَٰفِقِينَ وَٱلكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾: [النساء: ٤٠].

قال الطبري: "أي من جالسهم راضيًا بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بآيات الله فهو مثلهم في الكفر؛ لأن الرّضا بالكفر والاستهزاء كفر، ومن جلس معهم ساخطًا لذلك منهم لم يكفر، ولكنه يكون عاصيًا بالقعود معهم؛ فيكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثلُهُمۡۗ﴾ أي في أصل العصيان وإن لم تبلغ معصية المؤمنين معصية الكفّار، إذا لم يكن جلوس المؤمنين معهم لإقامة فرض أو سنّة، أما إذا كان جلوسه هنالك لإقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على تغييرها، فلا بأس بالجلوس(١).

٥- **المبالغة في النهي عن السخرية بشتى صورها،** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يسخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيرٗا مِّنهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيرٗا مِّنهُنَّۖ وَلَا تَلمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلأَلقَٰبِۖ بِئسَ ٱلِٱسمُ ٱلفُسُوقُ بَعدَ ٱلإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فالآية أمرت باجتناب ثلاثة أمور، تحمل في طياتها كل الإساءة للمجتمع الإسلامي وهي السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، وبينت أن من لم يمتثل الأمر يكون من الظالمين؛ لأنهم حقروا ما وقره الله واستهزؤا بمن عظمه الله .

وقد بين الطاهر بن عاشور العلة في الحكم عليه بالظلم بقوله: " لأنه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأن رضي لها عقاب الآخرة مع التمكن من

(١) المصدر السابق ٣١٧/٢.

الإقلاع عن ذلك فكان ظلمه شديدًا جدًا. فلذلك جيء له بصيغة قصر الظالمين عليهم كأنه لا ظالم غيرهم لعدم الاعتداد بالظالمين الأخرين في مقابلة هؤلاء على سبيل المبالغة ليزدجروا[1].

(١) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٥٠.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين وبعد.

فإن البحث انتهى إلى جملة من النتائج وهي:

- إن وجود الأخلاق قديم بقدم التاريخ البشري، حيث وجدت بقايا من مكارم الأخلاق في الجاهلية، ولكن هذه الأخلاق أحيانا كانت بدافع العصبية القبلية؛ أذ كان التحلي بهذه الأخلاق من باب التعصب والانتماء للقبيلة
- أقرالإسلام العديد من المكارم الأخلاقية التي كانت من الحياة الجاهلية، ولكن عمل على تهذيبها وتعديلها، وجعلها في إيطار الإيمان والعقيدة، بدلا من التعصب القبيلي.
- إن أسلوب السخرية من الأساليب القديمة التي عانى منها الأنبياء والتي استخدمها المشركون لصد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- إن القرآن الكريم شدد النكير على الساخرين واستخدم عدة أساليب لمعالجة هذا الخلق الذميم.
- إن للسخرية آثار ضارة وجسيمة على الفرد والمجتمع بعيدة المدى فهي من شأنها أن تُفقد الساخر الحياء، وتُسقط عنه المروءة، وتُميت قلبه، وتسبب الفُرقة والتفكك المجتمعي. تزهد الناس في الدين وتحثهم على سوء الأخلاق، ودناءة النفوس .
- حكم الله عز وجل بالكفر على هؤلاء المستهزئين بآيات الله تعالى وتشريعاته، بنص صريح لا يحتاج إلى اجتهاد ولا تأويل .
- تعددت صور السخرية والاستهزاء في القرآن الكريم لتشمل صور السخرية والاستهزاء في كل عصر من العصور.

- إن السخرية والاستهزاء لا ينبعثان إلا من نفس ملوَّثة بجراثيم العجب والتكبُّر، فهي تعمل على إيذاء من حولها بدافع الشعور بالفوقية المتغلغلة في أعماقها المريضة.

فهرس المراجع

القرآن الكريم:

١- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت٩١١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت٥٠٥، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٣- أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ت٤٦٨، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام،الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت٦٨٥، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ت٩٨٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول،المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت١٢٥٠، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٧- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت٧٤٥ تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة:١٤٢٠هـ.

٨- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي٣٧٣.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي، ت١٢٠٥، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٠- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت١٣٩٣، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس.

١١- تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت ٣٣٣، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م.

١٢- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت٨١٦، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٣- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت٤٤٧، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون-بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

١٤- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت ٤٨٩، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ت ١٣٧١، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٦- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ت٣٧٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت٦٧١، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٨- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٩- جامع العلوم والحكم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥، الناشر: دار المعرفة بيروت/ الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت١٢٧٠، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير،لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت٢٧٥، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٢٤- سنن الترمذي،المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن الضحاك، الترمذي، أبوعيسى، المحقق: بشار عواد معروف، ت٢٧٩، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٢٥- الصحاح تاج اللغة، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ت ٣٩٣، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٦- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ت٢٥٦، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٧- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ت٢٦١، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٨- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت ١٧٠، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت٨٥٠ تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، الناشر: دار الكتب العلميه- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٣٠- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت١٢٥٠الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ..

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٣٢- الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت ٣٩٥، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٣٣- القاموس المحيط،لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت ٨١٧، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٤-الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت ٥٣٨، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت ٤٢٧، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٦- الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، ت ١٠٩٤ تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٧- لباب التأويل، لعلاء الدين علي بن محمد بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن، ت ٧٤١، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٥ هـ.

٣٨- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ت ٧١١، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ.

٣٩- مجمل اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ت ٣٩٥- دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت ٥٤٢، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ١٥٤/١ بتصرف، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٤١- المحيط في اللغة، المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد.ت ٣٨٥.

٤٢- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت ١٣٣٢- تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٨هـ.

٤٣- مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت ٦٦٦، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني، ت ٢٤١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٤٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ٢٧٥/٣، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٦- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت٣١١، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٤٧- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، ت ٣٩٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٨- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت٦٠٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٤٩- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ت٥٠٢.تحقيق: صفوان عدنان الداودي،الناشر: دار القلم، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ..

٥٠- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة،الطبعة: الرابعة.

٥١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت ٨٨٥، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت ٦٠٦، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

٥٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ت ٤٦٨، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات
١	**المقدمة**
٢	**أهمية الموضوع**
٣	**خطة البحث**
٤	**التمهيد**
٥	**المبحث الأول: الأخلاق ومكانتها في ظل انتشار الفوضى واختلال القيم والمبادئ**
٦	المطلب الأول: مكانة الأخلاق في الإسلام
٧	المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في ترسيخ القيم الأخلاقية في نفوس المؤمنين
٨	المطلب الثالث: النهي عن بعض الأخلاق الذميمة في ضوء قوله تعالى: {لا يسخر قوم من قوم}.....
٩	**المبحث الثاني: السخرية، أسبابها، أثرها على الفرد والمجتمع، وكيفية معالجة القرآن الكريم لها.**
١٠	المطلب الأول أسباب السخرية ودوافعها
١١	المطلب الثاني: صفات الساخرين
١٢	المطلب الثالث: مظاهر السخرية
١٣	المطلب الرابع: أثر السخرية على الفرد والمجتمع، ومنهج القرآن الكريم في معالجة هذا الأسلوب
١٤	**الخاتمة**
١٥	**فهرس المراجع**
١٦	**فهرس المحتويات**